البداوة والحضارة عند المتنبي

د. محمد عمر أبو ضيف محمد(*)

المقدمة:

الحمد لله الذي أحلنا محلة الفهم، وحلانا حلية العلم، وملكنا عقال العقل، وزيننا بنطق المنطق... وصل اللهم وسلم وبارك علي أفصح العرب لسانا، وأعظمهم بيانا، اشرف نبي ارشد ودل، وعلي آله وأصحابه ما أطل سحاب فطل وبل...

وبعد...؛

فإن من نافلة القول بل صار من بديهياته أن نعترف أن شيخ شعراء العربية المتنبي قد ملء الدنيا وشغل الناس وكما يقول الثعالبي:" .. وقد تفرَّدَ عن أهل زمانه بملكِ رقابِ القوافي ورقةِ المعاني(١)"؛ لذا لا يخلو محفل أدبي قل أو جل من ذكره والحديث عنه والاقتباس عنه ومنه ، وقد أردت أن اكتب بحثا أظنه جديدا عن المتنبي، وقد دفعني لاختيار ذلك الموضوع أسباب خاصة وأخري عامة، أما الخاصة فهي:

أولا: محبتي الشخصية للمتنبي ورغبتي في العيش معه؛ لانبهاري بشخصيته ونفسيته والتي رغم وقوف الظروف أمامها إلا إنها استطاعت أن تتبوأ مكانة يقل عندها الملوك ويصغر عندها الأمراء.

ثانيا: الطموح العظيم الذي ملأ نفس هذا الشاعر وكيانه والذي لا نجد مثاله في كثير من عظماء الأرض وملوكها ولو كان بعضه في رؤوس بلاد لتبوأت فوق السحاب.

ثالثا: شعوري بالطرب واللذة الغامرة عند مطالعتي لشعر هذا الشاعر الكبير حتى إنني أقول: إن لقبه هذا لقب موفق، فكلامه فيه جلال ورصانة وعذوبة ورقي كأنه مستمد من مشكاة النبوات.

- التعرف علي جانب جديد من المتنبي الشاعر.

- الإلمام بصورة عن ثقافة عصر الشاعر.

- فتح باب جديد أو وضع عنوان جديد للباحثين في الدراسات الأدبية والنقدية.

وفوق ما سبق يزيد سبب آخر هو لازم لهم وفرع عنهم هو دراسة هذين المصطلحين- الحضارة والبداوة – من خلال كلام المتخصصين في علم الاجتماع بل وأثرهما في نفسيات أصحابهما من خلال كلام الباحثين المتخصصين، وهذا يعطي تصورا كاملا يجتمع فيه علم الاجتماع وعلم النفس مع علم الأدب والنقد لنضع رؤية مكتملة حديثة في قضية أدبية مهمة لشاعر من أهم شعراء العرب مما قد يكون أول تعبيد لطريق يسير الأدباء فيه لدراسات أخري وبحوث أخر.

كما نحب أن ننوه إلي قلة المراجع في هذا الموضوع علي رغم ما كتب من مؤلفات كثيرة حول شيخ شعراء العربية المتنبي(٢) إلا أن الكتابة في هذا الموضوع بالذات لم تسبق- فيما أعلم- إلا برسالة تناولت جانبا واحدا وهو جانب البداوة عند المتنبي. وهي رسالة ماجستير بعنوان: البداوة في شعر المتنبي، للباحث: السيد عبد الماجد محمد علي، تقدم بها لجامعة المنصورة، مصر١٩٩٧م(٣).

(*) أستاذ مساعد الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا جامعة الأزهر.

(١) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تح د. مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية بيروت)١٩٨٢م.

(٢) مع أني أحصيت عن المتنبي احدي وثلاثين رسالة علمية ما بين ماجستير ودكتوراه، ناهيك عن الكتب والبحوث والمقالات والتي هي أكثر من أن تحصي ينظر في هذه الرسائل: بيليوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين، تصنيف دكتور: محمد أبو المجد علي البسيوني، الناشر مكتبة الآداب، ط١ لسنة ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م .

(٣) وهناك بحوث صغيرة فيها اقتراب مما نحن بصدده وهي بحث صغير بعنوان: عبارة المتنبي بين البداوة والعجمة، للأستاذ: محمد عبد الجواد صحيفة دار العلوم، القاهرة ١٩٣٦. وهما يعالجان الفكرة التي نحاول معالجتها، ثم رأيت بحثا فيه نتفا تومض أحيانا عما نحن بصدده سيما في الحديث عن الحضارة وهو بحث صغير بعنوان: المتنبي وسقوط الحضارة العربية، للأستاذ: نور الدين عبد السلام مجلة الأقلام، ع١٣، بغداد ١٩٧٨م ، ثم هناك بحث قد تشتم فيه شيئا من هذا الموضوع لا سيما وهو يتحدث عن ألفاظ المتنبي وطريقته والتي فيها من الحضر وفيها من البدو وهو بحث صغير بعنوان: لغة المتنبي بين خصومه وأنصاره، نعمة رحيم العزاوي، نشر في مجلة الطليعة الأدبية، العدد١٠، بغداد، تشرين الثاني ١٩٧٧م.

وقد قمت في هذه الدراسة بالاستعانة بمنهجين علميين أدبيين للنهوض بها هما:

الأول: المنهج الاستقرائي (والبعض يسميه الاستقرائي الاستنباطي[١]) والاستقراء في اللغة هو التتبع، وقرات الشئ جمعته وضممت بعضه إلي بعض للتعرف علي أحواله، ومدي توافقه واختلافه[٢]. وفي اصطلاح علماء المنطق هو الحكم على الكل من خلال ما يوجد فى أجزائه، أو كما قال شوقي ضيف هو "الانتقال من الخاص الجزئي إلى العام الكلى[٣].

فهو منهج يقوم على أساس استقراء الحقائق الجزئية، واستنباط القضايا الكلية، ويتطلب هذا المنهج قراءة واطلاعاً واسعاً من الباحث عن الكتابات الأدبية بأنواعها المختلفة، بجانب البحوث الفنية والأدبية، وأن تكون له خلفية عن التذوق والنقد والخبرة الأدبية الواسعة.

وينقسم الاستقراء إلى نوعين: استقراء ناقص: ينطلق فيه الباحث من استقراء بعض الأجزاء إلى تعميم الحكم على الكل، واستقراء تام: يستخلص فيه الباحث الحكم من جميع الجزئيات ويعممه على الكل. وهذا معناه القراءة المتأنية المتفحصة لديوان شيخ شعراء العربية، والعيش معه وفهم مرامي قوله ومعانية واستجلاء ما وراء السطور مع وضع كل شيء عن الشاعر أثناء القراءة الناقدة. الثاني: المنهج التحليلي (والبعض يسميه التحليلي الوصفي) يقوم هذا المنهج على عمليّاتٍ ثلاث: التّفسير، والنّقد، والتوصيف.

التّفسير: ومعناه شرحَ الموضوعات، وتحليل النصوص وتفسير غريبها وما يحتاج منها إلي معاجم، حتى تتّضح مشكلاتها، وتنكشف مبهماتُها، لتبدوَ بصورةٍ واضحة متكاملة، ثم تأتي عملية النقد: وهي عملية رصدٍ لمواطن الخطأ والصواب، في موضوع الدراسة، ولابد أن يستند الباحث إلى الأصول والثوابت العلميّة المقرّرة، في مجال الدراسات النقدية والأدبية، الّذي ينتمي إليه هذا الموضوعُ، وذلك من أجل تقويم بعض المفاهيم والقضايا المتعلّقة بذلك الموضوع وتصحيحهما. الاستنباط والتوصيف: ويشمل كلّ عملٍ يهدف إلى وضع رؤية أدبية أو نظريّة نقدية ما، وبلورة هذه الرؤية أو النظرية في صورتها النهائية التي يتلقاها القارئ عن المبدع، ومعني هذا الدراسة الدقيقة لهذا الشعر وتفسيره كما تقول لغة العرب ثم تمييز الصواب من الخطأ بناءً علي كلام العرب وأقوال أهل الفن من علماء الأدب والنقد ثم محاولة وضع رؤيتي التي أصبو إليها من هذا البحث.

وقد جاء البحث – بإيجاز – في:-

مقدمة: وفيها أسباب اختيار البحث ومنهجه.

المبحث الأول: شخصية المتنبي وأثرها في تناول الأحداث.

الزاوية الأولي: حياة المتنبي وبيئته:

الزاوية الثانية: نفسية المتنبي:

المبحث الثاني: البداوة والحضارة عند المتنبي ورؤيته لهما.

مدخل :الحضارة عند علماء الاجتماع:-

المطلب الثاني: مفهوم البداوة عند المتنبي ورؤيته لها:

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة عند المتنبي ورؤيته لها:

المبحث الثالث: المتنبي في الميزان النقدي:

المطلب الأول: خصائص شعر المتنبي وبناء القصيدة عنده.

المطلب الثاني: رافد الصور الشعرية عند المتنبي.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

---

(١) خطوات تطبيقه:١- تحديد موضوع البحث تحديداً دقيقاً، وتحديد الظاهرة المراد دراستها ومكان وجودها.٢- تحديد الإطار الزماني للظاهرة، وعصرها، وشخصياتها المتعلقة بها. ٣- جمع المادة اللغوية المتعلقة بالظاهرة وحصرها (شعراً، أو نثراً). ٤- تحديد الفروض المتعلقة بالظاهرة. ٥- تحليل المادة لاختبار الفروض، والتوصل للنتائج المتعلقة بالظاهرة. ٦- تنسيق مادة البحث حسب الزمان والمكان.

(٢) الصحاح فى اللغة، الجوهري: ٦٧/٢.

(٣) البحث الأدبي، الدكتور: شوقي ضيف: ٨٣، ط. دار المعارف.

المبحث الأول: شخصية المتنبي وأثرها في تناول الأحداث.

فرؤية الحدث أو الواقعة وفهمها ثم التعاطي معها وإخراجها في أي قالب أدبي يختلف من شخص إلي آخر؛ فهو يختلف باختلاف الرائي أو المتعاطي أو المبدع؛ مع أن الحدث يكون واحدا لكن إخراجه يتم بطرق مختلفة ، والفرق في الرائي ومن يريد فهم المتنبي لابد أن ينظر إليه من زاويتين هما:-

المطلب الأول: حياة وبيئة المتنبي:

وهنا سنتناول بيئة المتنبي وحياته لأنهما المؤثران الأساسيان في تكوين الشخصية ولهما أثر في التعامل مع الأكوان والإنسان، والمتنبي يمتاز في بيئته عن غيره من الشعراء كميسون بنت بحدل أو الأمير عبد القادر الجزائري _ كنموذج من الذين تناولوا البداوة والحضارة _ فهو قد عاش في البدو والحضر؛ فقد نشأ في الكوفة، وهي ثاني مدينة مصّرت في الإسلام بعد الفتح الإسلامي، وهي تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط غرب العاصمة بغداد بنحو ١٥٦ كم وترتفع المدينة عن سطح البحر بنحو ٢٢م ،أنشئت الكوفة لتكون دار هجرة، وعاصمة للمسلمين بدل المدائن، أسسها سعد بن أبي وقاص سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م بأمر من عمر بن الخطاب، بعد أن ثبت له أن بيئة المدائن قد أثرت في صحة جند العرب، إذ كتب عمر إلى سعد، أن العرب لا يوافقهم إلا ما وافق إبلهم[١] ،وهي وإن كانت حاضرة إلا إن بأطرافها الصحراء، وليس بأطرافها مدينة أخري كغيرها من حواضر الدول الإسلامية، ولا أشك أنه قد عاين الصحراء ،ومشي فيها ولعب وهو صغير، ثم لما كبر وذاع صيته بوصفه شاعرا كثرت أسفاره، وهي أسفار تستمر أياما في الصحراء ؛فهي حياة ثم عاش في أعظم حواضر الأرض بجوار النيل عند كافور، وحواضر الشام مع سيف الدولة وغيره فهو يتكلم عن تجربة شخصية ورؤية عين وليس من عاين كمن سمع، والميزة الكبرى في هذا أنه يصف من الداخل بطبيعة عيشه، ثم يصف من الخارج عند الانتقال، وهذه الصورة المكتملة أن تعاين الشيء من الداخل، ثم تبتعد عنه وتراه من الخارج لتتجرد عن مؤثراته فيك، وذلك ما توافر لشيخ شعراء العربية ولم يتوفر لغيره.

هذه البيئة وأما الحياة فأولا: المتنبي هو: أحمد بن عبد الصمد الجعفى الكوفي، كان والده يعرف بعيدان السقاء[٢]؛ لأنه كان يمتهن مهنة السقاية، وهو "من قبيلة جعفى بن سعد العشيرة بن مذحج، واسم سعد هذا: مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان؛ فالمتنبي عربي صحيح النسب[٣].

هذا هو المشهور فى كتب الأدب والتراجم عن نسب المتنبي، وهناك خلاف فى نسبه إلا أن هذا البحث لا يتسع لسرد هذا الخلاف، لأنه ليس بصدد الحديث عن تحقيق النسب، وإنما نذكر على سبيل المثال رأى الأستاذ محمود شاكر، فقد أثبت من خلال شعر المتنبي أنه كان شريفا علويا[٤]. إلا أن الدكتور مصطفى الشكعة خالف ما ذهب إليه الأستاذ: محمود شاكر، مستندا على الروايات المشهورة التي جاءت فى كتب الأدب والتراجم والتي تؤكد أنا والد المتنبي كان رجلا فقيرا، أطلق

---

(١) ينظر: تاريخ الكوفة، السيد احمد البراقي، ط. الرابعة ١٩٨٧م بيروت، تخطيط مدينة الكوفة؛ د. كاظم الجنابي، بغداد ١٩٦٧م، تاريخ الكوفة الحديث ج١، ج٢، كامل سلمان الجبوري، ط الأولي ١٩٧٤م النجف.

(٢) ينظر الأنساب للإمام أبى سعيد عبد الكريم بن محمد أبى منصور التميمي السمعانى، ت عبد الله عمر البارورى ١٩١/٥، ظ دار الجان، ط أولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وينظر تاريخ بغداد للإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن على بن ثابت الطيب البغدادي ت دكتور/ بشار عواد معروف ١٦٤/٥-١٦٥، ط دار الغرب الإسلامي ط أولى ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م، وينظر: الأعلام للزركلى ٢٧٤/٥ ط دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م، وينظر الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والألقاب، تأليف عل بن هبة الله بن أبى مضر بن ماكولا: ٩٩/٦، ط. دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط أولى ١٤١١هـ.

(٣) مقدمة تحقيق اللامع العزيزى، شرح ديوان المتنبي لأبى العلاء أحمد بن عبد الله المعرى، ت: محمد محمد سعيد المولوى، ص:٨٠، ط. مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط أولى ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م .

(٤) ينظر: المتنبي (رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا) للأستاذ محمود محمد شاكر، ص: ٥٤/٥٣ مطبعة المدني – دار المدني بجدة ١٤٠٧هـ ١٩٧٨م.

عليه لقب عيدان السقاء، ورد على الأستاذ شاكر بأن هذه الروايات، التي تناولت نسب المتنبي لم نجد فيها ما يشير إلى أن المتنبي كان شريفا علويا(١).

والسر فى هذا الخلاف فى النسب، هو أن المتنبي لم يفصح فى شعره صراحة عن نسبه، ولم يذكر شيئا عن عائلته ولا أهله، وقد سئل عن نسبه فقال: "أنا رجل أحفظ القبائل، وأطوى البوادي وحدي ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بمطالبة بينها، وبين القبيلة التي انتسبت إليها، ومادامت غير منتسب إلى أحد، فأنا أسلّم على جميعهم، ويخافون لساني(٢).

وقد كنى بأبي الطيب، ولقب بالمتنبي، وقد دار جدل حول هذا اللقب، فمن العلماء من رأى أنه لقب بالمتنبي لادعائه النبوة(٣).

ومنهم من رأى أنه لم يدع النبوة، وإنما هو لقب لفقه له أعداؤه وحساده(٤).

وهناك رأى ثالث يرى أن المتنبي ليس من النَّبوّة، وإنما هو من النَّبَوة: أي المرتفع من الأرض(٥).

وبعد البحث وجدت أن هذا اللقب رماه به أعداؤه ولم يرضه لذا رووا من أقواله: "لا أرضي بهذا اللقب ولا أقدر علي دفع من يدعوني به"(٦).

وقد طغى هذا اللقب على اسمه، وأصبح عنوانا لهذه الشخصية الفذة.

أما مولده فلا خلاف بين العلماء فى مولد المتنبئ، فقد ذكرت كتب الأدب والتراجم انه ولد بالكوفة فى حي يسمى كندة، وكان ذلك سنة ثلاث وثلثمائة هجرية(٧).

ثم تأتي وفاته مقتولا، وكان ذلك فى رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وهو فى طريق عودته إلى بغداد، بعد أن مدح عضد الدولة فى فارس(٨)، وفارق المتنبي الحياة جسدا، إلا أنه لم يفارقها أديبا وشاعرا فما زال المتنبي مالئا الدنيا وشاغلا الناس.

المطلب الثاني : نفسية المتنبي:

لأن لنفسية أي إنسان ناهيك عن الأديب أثرها الكبير في رؤيته للأشياء وفي تحليله للشخوص والأحداث. أما عن نفسية المتنبي فهي نفسية عجيبة غريبة هي نفسية ملوك لغير ملك وليست نفسية شعراء مع أنه شاعر كما يقول: (وفؤادي من الملوك إن كان لساني من الشعراء) ولذا اختلف فيها دارسوا المتنبي اختلافا كبيرا ما بين نفسية متعالية متكبرة(٩) أو نفسية ساخطة(١٠) كارهة أو نفسية تعويضية(١١) تعوض ضعة الأصل الذي يذكره بعض المؤرخين من أنه ابن سقاء أو نفسية سيد شريف(١٢).

وأفضل شاهد علي المرء نَفْسه لذا سنتناول نفسية المتنبي ورؤيته لها من خلال شعره...

فقد كان المتنبي معتدا بنفسه يشعر أنه من أكابر الناس وعظماء الورى و يرى نفسه فى مكانة عالية ومنزلة رفيعة لا يطاوله فيها أحد، ولن يصل إليها في زمانه ولا من بعده أحد؛ فهو عند المنافسة لا يباريه ولا يقف معه أحد؛ فهو نجم فى السماء، وصخرة ثابتة لا تحركها عن

(١) أبو الطيب المتنبي فى مصر والعراقين، دكتور: مصطفى الشكعة ص ٢٢- ط عالم الكتب ط أولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) ينظر: الأنساب: ١٩٢/٥، وينظر: تاريخ بغداد: ١٦٦/٥.

(٣) ينظر: يتيمة الدهر ١٤٢/١، والأنساب: ١٩١/٥.

(٤) ينظر: المتنبي (رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا) ص٢٣٤-٢٣٥.

(٥) رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، ت، د/عائشة عبد الرحمن ص ٤١٨ ط دار المعارف (الطبعة التاسعة).

(٦) لسان الميزان:١٦١/١، المتنبي :٢١٥، ٢١٦.

(٧) ينظر: يتيمة الدهر لأبى منصور عبد الملك بن بحر بن إسماعيل الثعالبي، ت : مفيد محمد قميحة: ١٤١/١، ط دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م.

(٨) ينظر الأنساب: ١٩٣/٥.

(٩) الاتجاه الباطني في شعر المتنبي مجلة المورد ١٩٧٧م.

(١٠) النفسية الساخطة للمتنبي، د. أحمد شومان مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ١٩٩١م.

(١١) أدباء من المنظور النفسي، مقال للباحث بجريدة حديث الجنوب عدد مارس ٢٠٠٦.

(١٢) كما ذكر محمود شاكر في كتابه عن المتنبي،ط.مكتبة المدني.

مكانها السيول الجارفة، وهو عند المقارنة مع أهل زمانه هو الذهب فى وسـط الرغـام، وتعـاظم شعوره بنفسه لذا يرى نفسه فى برج عاجي، وغيره – مهما كان– فى أدنى درجات هـذا البـرج، وهذا هو سر نبرة التحقير، والتصغير الشائعة فى ديوانه، وانظر إلي حديثه عن مكانته ومنزلته[١]:

أنـــا صـــخرة الـــوادي إذا مـــا زوحمـــت وإذا نطقـــت فـــإنني الجـــوزاء

وإذا خفيـــت علـــى الغبـــي فعـــاذر أن لا ترانـــي مقلـــة عميـــاء[٢]

وقوله[٣] :

ومـــا أنـــا مـــنهم بـــالعيش فهـــم ولكـــن معـــدن الـــذهب الرغـــام[٤]

فقد تحدث المتنبي قبل هذا البيت عن أهل دهره وبين صفاتهم بقوله:

ودهـــر ناســـه نـــاس صـــغار وإن كانـــت لهـــم جثـــث ضـــخام

وهو يملك همة تقصر عندها كل همة وتحتقر لديها همة الملوك اسمع قوله[٥]:

ومن جاهـل بـي وهْـو يجهـل جهلـة ويجهـل علمـي أنـه بـي جاهـل

ويجهـل أنـى مالـك الأرض معـسر وأنى علـى ظهـر الـسماكين راجـل

تحقـر عنـدي همتـي كـل مطلـب ويقصر فى عيني المدى المتطـاول[٦]

هو شديد الصبر القوي الجلد أمام أحداث الزمان، ونوائبه، والذي لا ينكسر أمام حوادث الدهر مهما عظمت، ومهما اشتدت ويظل ثابتا راسخا قويا، مهما كانت قوة المصائب وكثرتها فمـن ذلـك قوله[٧]:

أطـاعن خـيلا مـن فوارسـها الـدهر وحيدا وما قولي كـذا ومعـي الـصبر

وأشـجع منـى كـل يـوم سـلامتي وما ثبتـت إلا وفـى نفـسها أمـر

تمرسـت بالآفـات حتـى تركتهـا تقول أمات الموت أم ذعـر الـذعر[٨]

---

(١) الديوان: ٢٢.

(٢) جاء هذان البيتان فى قصيدة المتنبي التي مدح بها أبا على هارون بن عبد العزيز الأوراجى الكاتب، وقد بدأها بقوله: الديوان: ٢٢.

أمن ازديارك فى الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

الجوزاء: نجم يقال انه يعترض في جوز السماء، والجوزاء من بروج السماء(لسان العرب:٥/٣٢٩).

(٣) الديوان ١٠١.

(٤) الرغام فى الأصل: التراب ينظر اللسان ١٢/٢٤٦).

(٥) الديوان :٣٤.

(٦) جاءت هذه الأبيات فى قصيدة قالها المتنبي فى صباه وقد بدأها بقوله:

قفا تريا ودقي فهاتا المخايل ولا تخشيا خلفا لما أنا قائل (الديوان :٣٣.

عسر الرجل إذا صار من ميسرة إلي عسرة، وعسرته أنا أعسره: إذا طالبته بدينك وهو معسر ولم تنظر إلي ميسرته(مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون: ٤/٣١٩، ط. دار الجيل بيروت (الثانية) ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، السماكان: نجمان نيران، أحدهما السماك الأعزل، والأخر: السماك الرامح، والرامح لا نوء له وهو إلي جهة الشمال، والأعزل من كواكب الأنواء، وهو إلي جهة الجنوب وهما في برج الميزان(سمك)(اللسان: ١٠/٤٤٤،٤٤٣)

(٧) الديوان١٨٩.

(٨) هذه الأبيات جاءت فى مطلع قصيدة يمدح بها المتنبي على بن أحمد عامر الأنطاكي،ينظر: الديوان١٨٨ الذعر: الفزع مقاييس اللغة ٢/٣٥٥.

وأيا ما كانت المواجهة ومع من كانت يخرج المتنبي من هذه المواجهة الشرسة سليما غير متأثر بها، ولو كان هذا المواجه هو الذي يكسر الناس جميعا إنه الدهر لكن المتنبي بشكيمته وشدة عزمه وطَّن نفسه علي مصائبه[١]:

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالى بالرزايا ... لأني ما انتفعت بأن أبالى[٢]

وأشد شيء يلقاه الإنسان أن يبتلي في بدنه بالأمراض وأن يرزء بالأسقام لكن المتنبي لقوة عزمه وشدة صبره يألف ما لا يألفه أحد[٣]:

ألح على السقم حتى ألفته ... ومل طبيبي جانبي والعوائد[٤]

ولذا عرفته مصائب الدهر ونيوبه لأنه الوحيد الذي اختبرت صلابته فرأت منه العجائب والغرائب:

إن نيوب الزمان تعرفني ... أنا الذي طال عجمها عودي[٥]

ولكن هذه النبرة الحزينة التي تشع من ألفاظ البيت أظهرت لنا آلامه، أمام قسوة الزمان، ومرارة الأيام، ولكن التباكي والشكوى الضارعة هيهات أن تراها من رجل يحمل هذه النفس!!

ومن شعور المتنبي بعلو نفسه وارتفاعه عن غيره؛ لأن عنده من المزايا ما ليس لغيره من هذه المزايا ،أنه رجل خبير بالدنيا خريت في فهم الأمور وحاذق في فهم الناس؛ لأنه كثير التجارب مع أحداث الزمان، كما أنه كثير الأسفار والترحال، والتنقل من بلد إلى بلد، وهذا يساعد العقلاء على تكوين الخبرات في فهم البلاد والعباد، وقد تحدث عن خبرته وتجاربه فى أكثر من موضع فى ديوانه، من ذلك قوله[٦]:

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا ... فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل
وما تسع الأزمان علمي بأمرها ... ولا تحسن الأيام تكتب ما أملى
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده ... حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل[٧]

ومع فهمه للزمان وأفعاله والأيام وأحوالها هو يفهم الناس فهم الخبير الكبير البصير[٨]:

---

(١) الديوان:٢٦٥.
(٢) هذه الأبيات جاءت فى قصيد يرثى بها المتنبي والدة سيف الدولة وقد بدأها بقوله:
نعد المشرفية والعوالى ... وتقتلنا المنون بلا قتال (الديوان:٢٦٤)
(٣) الديوان ٣١٨.
(٤) جاء ذلك فى قصيدة يمدح بها سيف الدولة، وقد بدأها بقوله:
عواذل ذات الخال فى حواسد ... وإن ضجيع الخوذ منى لماجد(الديوان ٣١٨)
العوائد: هن اللاتي يعدن المريض ، الواحدة عائدة (لسان العرب: ٣١٩/٣).
(٥) جاء هذا البيت فى قصيدة يمدح بها سيف الدولة، ويرثى ابن عمه تغلب أبا وائل، وقد بدأها بقوله
ما سد علة بمورود ... أكرم من تغلب بن داود
عجمها: عجم العود: هو العض عليها بالأسنان لاختبار صلابتها (العين :٢٣٨/١).
(٦) التبيان فى شرح الديوان: ٣/ ٥٥، ٥٦.
(٧) هذه الأبيات جاءت فى قصيدة يرثى بها المتنبي أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة وقد بدأها بقوله:
بنا منك فوق الرمل، ما بك فى الرمل ... وهذا الذي يضنى كذاك الذي يبلى(الديوان ٢٥٢)
(٨) الديوان ٢٩٢.

إذا مـــا النـــاس جـــر بهـــم لبيـــب فـــإني قـــد أكلـــتهم وذاقـــا

فلـــــم أر ودهـــــم إلا خـــــداعا ولـــــم أر ديـــــنهم إلا نفاقـــــا[1]

وصارت كل حواسه خدما لخبرته وجميعهم جنود تعينه علي معرفة حقائق الأمور[2]:

وأبـــصر مـــن زرقـــاء جـــو لأننـــي متى نظرت عينـــاي ســـاواهما علمـــي

كأني دحـــوت الأرض مـــن خبرتـــي بهـــا كأني بنى الاسكندر السد من عزمـــي[3]

ومما زاده اعتدادا بنفسه أنه قد رزق الفصاحة الغالية والبلاغة العالية، والموهبـــة الـــشعرية النادرة حتى صار يؤثر فيما وفيمن لا يمكن أن يتأثر[4]:

أنـــا الـــذي نظـــر الأعمـــى إلـــى أدبـــي وأســـمعت كلمـــاتي مـــن بـــه صـــمم

أنـــام مـــلء جفـــوني عـــن شـــواردها[5] ويسهر الخلـــق جراهـــا[6] ويختـــصم

وركز مع ضمير (أنا) والذي يعكس بقوة ما بداخل شخصية المتنبي من كبريـــاء، وإعجـــاب بالذات،واعتزاز بفصاحته وبلاغته، ومع أنه في مقام المدح وينبغي أن يصغر المـــادح نفـــسه فـــي مقابل الممدوح إلا أن كبرياء المتنبي واعتداده بذاته أكبر وأضخم من أن يمكن إخفـــاؤه، وإذا كـــان المتنبي جعل الأعمى ينظر إلى شعره ويبصره، والأصم يسمعه فإنه وصل إلي درجة عظيمـــة هنـــا؛ حيث جعل الدهر يردد شعره ويصير راوية له وهذا ما حدث لأحد وما يكون، والكسول تحركه أنغام أبياته، وتبث فيه النشاط والذي لا يعرف الغناء يجد نفسه مغنيا، ومرددا لأشعار المتنبي:

ومـــا الـــدهر إلا مـــن رواة قـــصائدي إذا قلت شعرا أصـــبح الـــدهر منـــشدا

فـــسار بـــه مـــن لا يـــسير مـــشمرا وغنـــى بـــه مـــن لا يغنـــى مغـــردا

أجزنـــي إذا أنـــشدت شـــعر فإنمـــا بـــشعري أتـــاك المـــادحون مـــرددا

ودع كل صـــوت غيـــر صـــوتي فـــإنني أنا الطائر المحكي والآخـــر الـــصدى[7]

ويحزن لوجود الشعراء الذين لا يصلون لدرجة – في نظره– شـــاعر يريـــدون أن يطـــاولوه ويقاولوه:

أفـــي كـــل يـــوم تحـــت ضـــبنى شـــويعر ضـــعيف يقـــاوينى قـــصير يطـــاول

فهو يمتلك موهبة لا يملكها غيره ولا تحتاج لأحد أن يثبتها فهي أشهر من أن تذكر:

زعمت أنـــك تنفـــى الظـــن عـــن أدبـــي وأنـــت أعظـــم أهـــل الأرض مقـــدارا

إنـــى أنـــا الـــذهب المعـــروف مخبـــره يزيد فـــى الـــسبك للـــدينار دينـــارا[8]

---

(١) جاء البيتان فى قصيدة يمدح فيها المتنبي سيف الدولة، وقد بدأها بقوله:
أيدرى الربع أى دم أراقا وأي قلوب هذا الركب شاقا(الديوان ٢٩١)

(٢) الديوان٨١.

(٣) جاء هذان البيتان فى قصيدته التي مدح بها الحسن بن إسحاق التنوخى، وقد بدأها بقوله:
ملامى النوى فى ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل الذي بي من السقم(الديوان٨٠)

(٤) الديوان٣٣٢.

(٥) شرد البعير والدابة، يشرد شرادا، فهو شرود: ذهب على وجهه، ومنه قلفية شرود: سائرة فى البلاد (المخصص لأبى الحسن على بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ١٩٣/٢ خليل إبراهيم جفال، ط دار إحياء التراث – بيروت ط١–١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

(٦) جراها: أي من أجلها (اللسان ١٣٠/٤).

(٧) الديوان:٣٧٢.

(٨) الديوان :١٦٢

فالمتنبي هنا يخاطب بدر بن عمار بن إسماعيل، وذلك عندما اتهم بعض الناس المتنبي بأنه لا يقدر على ارتجال الشعر، وأراد بدر بن عمار أن ينفى هذه التهمة عن المتنبي، وانظر لدقته فى استخدامه لكلمة الظن فى قوله (تنفى الظن عن أدبي) فهو بهذه الكلمة ينفى صحة الاتهامات الموجهة إليه ويثبت حق بدر بن عمار فى نفيها؛ لأنها مجرد ظنون وشكوك بعيدة عن الحجة والبرهان.

ومما يراه المتنبي في نفسه الشجاعة والتي كان يركز ويلح في إثباتها لنفسه[١]:

جفتني كأني لست أنطق قومها وأطعنهم والشهب في صورة الدهم

يحاذرني حتفي كأني حتفه وتنكزني الأفعى فيقتلها سمى

طوال الردينيات يقصفها دمى وبيض السُّريجيات يقطعها لحمى[٢]

وقد جمع لنفسه الفصاحة والشجاعة، إلا أنه أسهب فى الحديث عن شجاعته وأوجز فى الحديث عن فصاحته، لأن المرأة العربية كانت تميل إلى الرجل الفصيح[٣] إلا أن ميلها إلى الرجل الشجاع أكثر؛ لأنها تضمن به الحماية. وأول ما يكشف عن شجاعة المتنبي فى هذه الأبيات صبغة التفضيل الأولى التي كشفت عن فصاحة المتنبي وذلك فى قوله (أنْطق قومَهَا)

ومن إلحاحه علي إثبات شجاعته قوله[٤]:

أمثلى تأخذ النكبات منه ويجزع من ملاقاة الحمام

ولو برز الزمان إلى شخصا لخضب شعر مفرقه حسامي

وما بلغت مشيئتها الليالي ولا سارت وفى يدها زمامي

إذا امتلأت عيون الخيل منى فويل فى التيقظ والمنام[٥]

وهذه الأبيات جاءت لتحمل الرد من خلال الحديث عن شجاعة المتنبي وحسن بلائه فى الحروب وأول ما يطالعك فى هذه الأبيات هذا الاستفهام فى قوله (أمثلى تأخذ النكبات منه) وإذا كان الغرض من الاستفهام فى الحقيقة طلب الفهم، فإن الاستفهام هنا لا يمكن حمله على حقيقته؛ لأن

---

(١) الديوان:٣٤٧

(٢) فقد جاءت هذه الأبيات فى قصيدة يمدح بها المتنبي الحسين بن إسحاق التنوخى بدأها بالحديث عن المحبوبة كعادة الشعر الجاهلي فقال:

ملامى النوى فى ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل الذي بي من السقم (الديوان:٣٤٧)

الجفاء: سوء العشرة والتحامل عند الغضب، والثورة على الجليس (ينظر تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح: محمد عوض مرعب: ١٤١/١١، ط. دار إحياء التراث العربى بيروت ٢٠٠١م)، الشهب: الشهبة البياض الذي غلب على السواد (لسان العرب لابن منظور ٥٠٨/١)؛ الدهم: السواد ، والأدهم الأسود (اللسان ٢٠٩/١٢)، الحتف: الموت (ينظر المحيط فى اللغة لأبى القاسم إسماعيل بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقانى تح: الشيخ: محمد حسن آل ياسين: ٥٤/٣ ،ط. عالم الكتب بيروت (أولى) ١٤١٤هـ –١٩٩٤م)، نكزته الحية: لسعته بأنفها (لسان العرب لابن منظور:٤٥٤٠/٦، ط. دار المعارف(الأول) (بدون تاريخ) الردينيات: ردينة اسم امرأة، والرماح الردينية منسوبة إليها (اللسان١٧٨/١٣) السريجيات: ضرب من السيوف يعرف بالسريجيات، (تهذيب اللغة ٣٠٨/١٠).

(٣) ينظر: شرح ديوان المتنبي للبرقوقى١٩٦/٤.

(٤) الديوان:٥١.

(٥) هذه الأبيات جاءت فى قصيدة يرد فيها المتنبي على أبى عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى، وكان قد لامه على تعرضه للحروب فى الأسفار ظن وتهور فيها، ومطلع هذه القصيدة قوله:

أبا عبد الإله معاذ إنى خفي عنك فى الهيجا مقامي (الديوان:٥٠)

النكبة بالفتح: المصيبة، ونكبه الدهر نكبا: بلغ منه أو أصابه (القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزابادى:١٣٧٣/١،ط. مؤسسة الرسالة بيروت لبنان)، الحمام: الموت، الخضب: قال الليث: خضب الرجل شيبه، والخضاب الاسم وكل لون غير لونه حمرة فهو مخضوب (ينظر تهذيب اللغة ٥٥/٧).

المتنبي لا يمكن أن يسأل غيره عن إمكان تأثير النكبات فيه، ولا عن إمكان جزعــه عنــد ملاقــاة الموت، فهو أدرى الناس بحاله، ولكن المتنبي ينكر أن يكون بما يملكه من شجاعة، وقوة وحــسن بلاء فى الحروب ممن تؤثر فيه نكبات الزمان، أو يجزع عند ملاقاة الموت؛ فالغرض من الاستفهام هنا الإنكار، ويمكن أن يحمل النفي على معنى: مثلى لا تأخذ النكبات منه، ولا يجــزع مــن ملاقــاة الحمام.

ومن إلحاحه علي إثبات شجاعته أو هكذا يقر في نفسه[١]:

سيصحب النــصل منــى مثــل مــضربه وينجلي خبــري عــن صــمة الــصمم

لقــد تــصبرت حتــى لات مــصطبر فــالآن أقحــم حتــى لات مقــتحم

لأتــركن وجــوه الخيــل ســاهمة والحرب أقوم مــن ســاق علــى قــدم

والطعــن يحرقهــا والزجــر يقلقهــا حتى كــأن بهــا ضــربا مــن اللمــم

قــد كلمتهــا العــوالى فهــي كالحــة كأنما الصاب مــذرور علــى اللجــم[٢]

وهو يظهر شجاعته الفريدة ويبالغ فى هذا حتى يصل فى بعض أبيات القصيدة إلى غلــو قــد يراه البعض غير مقبول، من مثل قوله:

تنــسى الــبلاد بــروق الجــو بــارقتى وتكتفي بالــدم الجــاري عــن الــديم

وتكون في أحايين كثيرة من لوازم القوة والشجاعة الظلم والاجتراء علــي الفاحــشة!! لكــن المتنبي يري في نفسه أنها متفردة عن أقرانه ، وذلك في كل شيء حتى في عفته التي تلازمه مــع شجاعته وقوته[٣]:

منهــا شــرابي وبهــا اغتــسالي لا تخطــر الفحــشاء لــي ببــال

لــو جــدب الــزرادا مــن أديــالى مخيــرا لــي صــنعتي ســربال

مــا ســمته زردا ســوى ســروال وكيــف لا وإنمــا إدلالــى[٤]

---

(١) الديوان: ٣٧،٣٨.

(٢) فقد جاءت هذه الأبيات فى قصيدة قالها المتنبي فى صباه، وقد بدأها بقوله:

ضيف ألم برأسي غير محتشم السيف أحسن فعلا منه باللمم(الديوان: ٣٧)

النصل: حديدة السهم والرمح، والسيف ما لم يكن له مقبض جمعه أنصل، و نصال، ونصول (القاموس المحيط ١٣٧٨/١) الصمة: الشجاع وجمعه صمم، ورجل صمة: شجاع (اللسان ٣٤٦/١٢) لات: كلمة معناها: ليس تقع على لفظ الحين خاصة عند سيبويه (ينظر لسان العرب ٨٦/٢)، السهوم:عبوس الوجه من الهم، ويقال للفرس إذا حمل على كريهة الجرى: ساهم الوجه (كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى، تح: د/ مهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي: ٢٣٨/١، ط دار مكتبة الهلال) اللمم الجنون وقيل طرف من الجنون يلم بالإنسان (اللسان ٥٥١/١٢)، العوالى:عوالى الرماح: أسنتها، واحدته عالية (اللسان ٨٧/١٥)، الصاب: شجر مر واحدته صابة (المحكم والمحيط الأعظم ٣٨٨/٨).

(٣) الديوان:٥٦٠.

(٤) هذه الأبيات جاءت فى قصيدة أنشدها المتنبي عضد الدولة وقد بدأها بالحديث عن ذاته فقال:

ما أجدر الأيام والليالي بأن تقول ماله ومالي

ومعاني الكلمات: الزراد: صانع الدروع (ينظر: اللسان ١٩٤/٣)، السربال القميص، والدرع، وقيل كل ما لبس، فهو سربال (ينظر: اللسان ٣٢٥/١١)، سمته: السوم فى المبايعة، تقول فيه ساومه سواما بالكسر وتساومنا، وسمته بعيره سيمة حسنه، وإنه لغالى السيمة، وسامه حسنا: أى أولاه إياه، وأراده عليه (مختار الصحاح محمد أبى بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ١٣٥/١، ط ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) الزرد والسرد بمعنى واحد: اسم جامع للدرع ونحوها من عمل الحلق، وسمى سردا، لأنه يسرد فيثقب طرف كل حلقة بمسمار، فذلك الحلق المسرد، والسرد المثقب اللسان ٢٢٧/٧)، إدلالى: الإدلال: الفخر، ويمكن أن يرد به السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل، وغير ذلك (اللسان ٢٤٨/١١).

وهي تدل على أن المتنبي كان يرى نفسه – دائما– فى مكانة أعلى من منزلة من يمدحه، ويدل – أيضا – على أن الاعتداد بالذات والفخر بها من أهم ملامح شخصية المتنبي . وقد جمع المتنبي فى البيت الأول من الأبيات الثلاثة بين الحديث عن عفته وشجاعته، ففي الشطر الأول بالغ فى الحديث عن شجاعته بقوله (منها شرابي وبها اغتسالي) والضمير فى منها، و(بها) عائد على الحروب المذكورة فى قوله فى البيت السابق:

لا أن يكون هكذا مقالي فتى بنيران الحروب صال

وهو العفيف مع وجود دواعي عدم العفة وما هذا إلا لتفرد نفسه وعلوها[١]:

وحملت ما حملت من هذى المها وحملت ما حملت من حسراتها

إنى على شغفي بما فى خمرها لأعف عما فى سرابيلاتها[٢]

والمتنبي فى هذين البيتين يتحدث عن عفته مع هؤلاء النسوة اللاتي وصفن بالجمال فى قوله: (حملت ما حملت من هذى المها)، وقد عبر باسم الموصول (ما) دون ذكر ما تحمله الإبل؛ للدلالة على أنها تحمل شيئا عظيما لا يستطيع المتنبي أن يحيط بأوصافه أو أن يحدد ماهيته.

ولعل في هذا ما يكفي لمعرفة نفسية المتنبي من خلال شهادته هو عن نفسه من قوله وشعره.

المبحث الثاني: البداوة والحضارة عند المتنبي ورؤيته لهما.

مدخل: الحضارة عند علماء الاجتماع:-

الحضارة في اللغة وكما ورد في لسان العرب: " الإقامة في الحَضَر... والحَضَر والحَضْرة والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار[٣]".

وتستخدم الحضارة للدلالة على صفات أهل المدينة، وللتفريق بينهم وبين من هم خارجها من أهل الأرياف أو من أهل الغابات المتوحّشين والبرابرة، "وحالة التحضُّر والمتحضِّر، جملة الصفات المكتسبة خارج الطبيعة، وهي أخيراً مجموع الظواهر المميِّزة للحياة في هذا العالم الخاصّ المتطوِّر الّذي بناه الإنسان المدنيّ[٤]".

فالحضارة معناها التعبير عن طراز العيش الّذي يسود مجتمعاً من المجتمعات، أي هويّة ذلك المجتمع. وعلى حدّ تعبير "رالف لنتون" " فالمجتمع عبارة عن مجموعة منظَّمة من الأفراد، والحضارة مجموعة منظَّمة من الاستجابات الّتي تعلَّمها الأفراد وأصبحت من مميِّزات مجتمع معيّن[٥]"

---

(١) الديوان: ١٨٥.

(٢) جاء هذان البيتان فى مطلع قصيدة يمدح بها المتنبي أبا أيوب أحمد بن عمران، وقد بدأها بقوله:
سرب محاسنه حرمت دواتها دانى الصفات بعيد موصوفاتها
السربال القميص والدرع وقيل كل ما لبس فهو سربال (اللسان ٣٣٥/١١).

(٣) لسان العرب (حضر): ٢١٥/٣.

(٤) جغرافيا الحضارات، رولان بريتون، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص: ٢٠.

(٥) شجرة الحضارة، رالف لنتون، ترجمة: أحمد فخري، ط. مكتبة الأنجلو المصريّة: ١/ ٣٥٤، (دون تاريخ).

هذا هو المعني المعروف بين من يتناولون هذا المصطلح بالدراسة من علماء الاجتماع فـــي زماننا[1] وهو لا يختلف عما ذكره عبد الرحمن بن خلدون"(ت ٨٠٨ هـــ)، وهو يعد أوّل من توسّـــع في الكلام عن الحضارة والتفريق بينها وبين البداوة ؛ فهو يرى أنّ الناس حين تخطّوا في كـــسبهم للمعاش ما هو ضروري "وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلـــى الـــسكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنُّق فيها وتوســـعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضُّر. ثمّ تزيد حالة الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعهـــا مـــن الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهـــاء فـــي الصنائع في الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غايتها فيتّخذون القصور والمنازل ويُجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون من استجادة ما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان[2]"

فالحضارة عند علماء الاجتماع هي طريقة الحياة وأسلوب المعاش وهو يؤثر تبعا في الطبائع والأخلاقيات...

وكما أسلفنا أن المتنبي له رؤية خاصة ووجهة نظر ذاتية مبنيـــة علـــي تجاربـــه ورؤيتـــه وخبراته الشخصية ، وله رافد عظيم من عقل كبير لا يماري في ذكائه من درس هذه الشخـــصية _ دراسة ولو سطحية _ وكذلك يمتلك نفسية خاصة قد نختلف في تصنيفها والحكم عليهـــا، ولكـــن لا يمكن الاختلاف بأنها نفسية خاصة للمتنبي.

المطلب الأول: مفهوم البداوة عند المتنبي ورؤيته لها:

البداوة تعني عند المتنبي السكون الذي يجعل الإنسان يخلو بذاته ويفهمها بـــصورة أفـــضل وفيها التأمل والخلوة وفيها البحث عن المغامرة وهي ملاذ رائع للاستمتاع بالطبيعة كما هي بنقـــاء نسيمها وصفاء سمائها ورمالها الذهبية هي التحرر من قيود الحضارة والـــتخلص مـــن الـــضغوط النفسية التي تفرزها الحياة في القصور بجوار الملوك والأمراء ومكابدة السياسة وشـــئون الملـــك حيث لا يخلو الأمر ولا يسلم المرء من المكائد والدسائس وأقوال الحساد وأفعالهم، البـــداوة تعنـــي الجمال الحقيقي غير المتكلف يقول المتنبي:

---

(١) هذا المعنى أخذ يتغيّر بعد قليل، حين انتشر المصطلح في اللغات الأوربّيّة الأخرى وصار يعني «مجموعة من الخطط والنظم القمينة بإشاعة النظام والسلام والسعادة، وبتطوّر البشريّة الفكريّ والأدبيّ، وبتأمين انتصار الأنوار" (تاريخ الحضارات العامّ، إشراف موريس كروزيه، نقله إلى العربيّة: فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٤- مجلد ١ – ص ١٧)، والأنوار في مفهوم مفكّري القرن الثامن عشر الأوربّيين هي الثقافة الأوربّيّة والمفاهيم الجديدة الّتي أحدثتها الثورة الصناعيّة. «ففي ذروة العصر الّذي كان الأوربّيون يهيمنون فيه على العالم فكريّا وسياسيّا جرى تصوّر الحضارة بصيغة المفرد"(جغرافيا الحضارات، رولان بريتون، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، الطبعة الأولى ١٩٩٣ ص: ٢٠)، أي ما يتميّز به المجتمع الأوربّي من خصائص. والمفهوم الأوروبي غير محدد للحضارة بل فيه تداخل وخلاصة القول: يُلاحظ أنّ هناك تداخلاً كبيراً في تناول الفكر الأوربّي لمفهوم "Civilization"، فهناك من جعل المفهوم مرادفاً لمفهوم "Culture" مثل تايلور، وهناك من جعله قاصراً على نواحي التقدّم المادّيّ من آلات ومؤسّسات واختراعات... وهناك من جعله شاملاً لكلّ نواحي التقدّم. وهناك من قصر المفهوم على نواحي التقدّم الخاصّة بالفرد، وهناك من رأى أنّها تشمل الفرد والجماعة، وهناك من رأى أنّها مفهوم عالمي –أي أنّ هناك "Civilization" واحدة دائماً وأنّ كلّ المجتمعات تساهم فيها بنصيب ما– أمّا "Culture" فهي خاصّة بكلّ شعب، وهناك من رأى العكس" الحضارة، الثقافة، المدنيّة. نصر محمّد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، فرجينيا (١٩٩٥م) ص: ٣٩،٤٠.

(٢) المقدمّة، العلاّمة عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون، ط. دار الجيل، بيروت (دون تاريخ) ص ١٣٢.

.... وفي البداوةِ حسنٌ غير مجلوبِ

أين المعيز من الآرام ناظرةً وغير ناظرةٍ في الحسن والطيبِ

ولا برزن من الحمام مائلةً أوراكهن صقيلات العراقيبِ

ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبي غير مخضوبِ[١]

بينما تعني عند غيره من الشعراء الخلاءُ من الأرض، والمفازة لا ماء فيها ولا نبات يقول الأعشى[٢]:

وبَيْداءَ قفْرٍ كَبُرْدِ السَّدير مشاربُها داثِراتٌ أُجُنْ[٣]

ووصف امرؤ القيس البداوة في قوله[٤]:

وقفْرٍ كَظهرِ التُّرْسِ مَحْلٍ مَضِلَّةٍ مَعَاطِشِ مجرى الماءِ طَامِسَةِ الفَلاَ

ووصفها الحطيئة[٥]:

وطاوي ثلاثٍ، عَاصِبِ البَطْنِ، مُرْمِلٍ ببيداءَ لم يعرفْ بها سَاكِنٌ رسْمَا

فعبر هنا بالبيداء والتي معناها: البَيْدَاء: الفلاة، والمفازةُ لا شيءَ بها، وسميت الصحراءَ بيداءَ؛ لأنها تُبيدُ سالكها، والإبادة: الإهلاك، والجمع بيد وبيداوات[٦]، فهي تبيد وتهلك وتقتل أما المتنبي فيراها جمال حقيقي ليس فيه تزييف فهي هدوء وسكينة وراحة ودعة وفتح مجال للعقل للاستجمام لكي يبدع...

كما أنه لفهم البداوة عند المتنبي لابد من فهمها عند غيره ولن يكون فهمهما عند غيره علي سبيل الاستقصاء فهذا لا مجال له هنا ولكن علي سبيل المثال الذي يفهم الحال ولنأخذ مثالا لامرأة بدوية انتقلت من بيئتها لأعلي بيئة في الحضر حيث قصور الملك ولنشاهد حديث الشاعرة ميسون بنت بحدل الكلبية[٧]التي تقول:

لبيتٌ تخفق الأرواح فيه أحبُّ إلي من قصر منيف

---

(١) يقول الو احدي شارح ديوان المتنبي: وحسن البدويات طبع طبعن عليه ثم ذكر لهن مثلا من الظباء والمعز، المعيز اسم لجماعة المعز كالكليب والعبيد جعل نساء الحضر كالمعز ونساء البدو كالظباء يقول أين يقع المعيز من الظباء في الحسن والطيب ناظراتٍ وغير ناظراتٍ أي الظباء أحسن منها عيوناً وغيرها من سائر الأعضاء أراد بظباء الفلاة النساء العربيات وإنهن فصيحات لا يمضغن الكلام ولا يصبغن حواجبهن كعادة الحضريات،ثم أراد حسنهن من غير تصنع ولا تطريةٍ بدخول الحمام وصقل العرقوب.

(٢) ديوانه: ٦٧.

(٣) ومعني البيت: البرد: ثوب مخطط. السَّدير: أرض باليمن تنسب إليه البرود. معجم البلدان (السدير) ٢٠١/٣. مشاربها: مفردها مَشْرَب، وهو موضع الماء الذي يشرب منه. داثرات: مطموسات. أجُن: مفردها آجن، وهو الماء المتغير الطعم واللون، يقال: أَجَنَ الماء يأجن بكسر الجيم وضمها أَجْنًا وأجونًا. اللسان (أجن).

(٤) ديوانه: ٣٣٢.

(٥) ديوانه: ٣٩٦. ومعني البيت: طاوي: جائع. ثلاث: ثلاث ليالٍ. عاصب البطن: عصب بطنه وشده بخرقة من ألم الجوع. مرمل: فقير محتاج. الرسم: ما بقي في الأرض من آثار الديار. شرح الديوان: ٣٩٧.

(٦) اللسان (بيد)، والإفصاح: ١٠٥٠.

(٧) قال ابن عساكر: أم يزيد بْن معاوية ميسون بنت بحدل بْن أنيف بْن دلجة بْن قنافة بْن زهير بْن حارثة بْن جناب، وأمها أسدة بنت أسيد بْن ثعلبة بْن سويد بْن إسحاق بْن حارثة بْن هبل ، وأمها ابنة صامت بْن قيس بْن حارثة بْن مبذول بْن القين، كذا قالَ، وقنافة هو ابن عدي بْن زهير. وهي شاعرة بدوية من بني حارثة من ثقيف، تزوجها معاوية فنقلها إلى حاضرة ملكه حيث وفر لها كل وسائل الراحة والترف والعيش الرغيد لكن ميسون بقيت تحن إلى أهلها ويشتد بها الوجد إلى مضاربهم في البادية حتى سمعها زوجها معاوية يوماً وهي تنشد الأبيات التي ذكرناها!! فقال معاوية: أتشبهينني بالعلج أيتها البدوية الحمقاء؟ الحقي بأهلك لا ردك الله. وكانت حاملا بيزيد (في رواية) أو أخذته معها رضيعاً، فنشأ في البرية فصيحاً. ونقل البغدادي أن معاوية لما طلقها قال لها: كنتِ فَيئتِ؛ فأجابته: ما سررنا إذ كنا ولا أسفنا إذ بنّا. ينظر في ترجمتها: تاريخ دمشق لابن عساكر، (حرف الميم)، خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء السابع.

ولـــبسُ عبـــاءة وتقـــر عينـــي أحـــب إلـــي مـــن لـــبس الـــشفوف
وأكـــلُ كـــسيرة فـــي كـــسر بيتـــي أحـــب إلـــي مـــن أكـــل الرغيـــف
وأصـــواتُ الريـــاح بكـــل فـــج أحـــب إلـــي مـــن نقـــر الـــدفوف
وكلـــبٌ ينـــبح الطـــراق دونـــي أحـــب إلـــي مـــن هـــر أليـــف
وبكـــر يتبـــع الأظعـــان صـــعب أحـــب إلـــي مـــن بغـــل زفـــوف
وخـــرقٌ مـــن بنـــي عمـــي نحيـــف أحـــب إلـــي مـــن علـــج عنـــوف
خـــشونة عيـــشتي فـــي البـــدو أشـــهى إلـــى نفـــسي مـــن العـــيش الطريـــف
فمـــا أبغـــى ســـوى وطنـــي بـــديلا ومـــا أبهـــاه مـــن وطـــن شـــريف[1]

مع أن هذه الأبيات تكاد تجمع مظاهر كلا من البدو والحضر من وجهة نظرها لكن لها وجهة نظر تختلف عن شاعرنا فهي هنا تقتصر علي المظاهر المادية التي درجت عليها والطبيعة التي ألفتها من رياح تصفق أركان الخيمة والعباءات الصوفية الخشنة والخبز الجاف والذي غالبه الشعير والكلاب التي تعوي للحراسة حتى الشكل العام للرجال حيث النحافة وقلة اللحم لشدة العيش وطبيعة الحياة ؛ فعلي الجملة خشونة العيش هي مظاهر البدو كما رأتها في مقابل ضد هذه الأشياء هي مظاهر الحضر أي رفاهية العيش والراحة ومع هذا تفضل البدو لأنه الوطن الذي ولدت فيه وعاشت واعتادت عليه وألفته فهو أفضل مع إقرارها بخشونته.

وكذلك يختلف تناوله ومدحه عن مدح من بعده كالأمير الفارس عبد القادر الجزائري[2] والذي مدح البداوة في قصيدة له هي:

يا عاذراً لامرئٍ قـد هـام فـي الحـضر وعـــاذلاً لمحـــبّ البـــدو والقفـــر
لا تـــذممنّ بيوتـــاً خـــفّ محملهـــا وتمـــدحنّ بيـــوت الطـــين والحجـــر
لو كنت تعلـم مـا فـي البـدو تعـذرني لكن جهلت وكم في الجهل مـن ضـرر
أو كنتَ أصبحت فـي الـصحراء مرتقيـاً بساط رمـلٍ بـه الحـصباء كالـدرر
أو جلتَ فـي روضـةٍ قـد راق منظرهـا بكـل لـونٍ جميـل شـيّق عطـر

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي (١٤١٨ - ١٩٩٧)

(٢) ولد في قرية القيطنة التابعة لوهران، من عائلة مرابطيّة كريمة مشهورة بالفضل والكرم حفظ القرآن، وتعلم مبادئ العربيّة على أبيه، ثم قرأ على الشيخ أحمد بن طاهر القرآن والحديث وأصول الشريعة، واستكمل فنون العلوم في وهران، فدرس الفقه والحديث والفلسفة والجغرافيا والتاريخ، ونال شهادة حافظ. اشتهر في صباه بشدّة البأس، وقوّة البدن، والفروسيّة؛ بايعه رؤساء القبائل العربيّة سنة ١٨٣٢/١٢٤٨ بعد أبيه على نصرة الإسلام، ولقبوه بناصر الدين، فجمع كلمتها، وخاض المعارك دفاعا عن استقلال المغرب العربي، وانتصر في معركة وهران. عقد مع الفرنسيّين معاهدة ١٨٣٤/١٢٥٠ وتفرّغ للإصلاحات الداخليّة، ونظّم دولته على أسس إسلاميّة، ولم يعترف بسيادة فرنسا على بلاده، وكان حاكماً جريئاً، شجاعاً، يتقدّم الجيوش بنفسه، نظّم مملكته إلى ثماني خلافات، وأقام جهازاً إدارياً مسلسل الرئاسات، ونظّم القضاء، وأسّس مجلساً ثوريا، وأنشأ مصانع الأسلحة والبارود، وملابس الجند، وجمع الزكاة، وبنى مدينة (تقدمة) وكثيراً من المعامل، وافتتح المدارس، وضرب النقود (المحمديّة) ونظّم جيشاً قوامه عشرة آلاف جندي. ألف في التصوف كتاب: (المواقف) و(المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد) و(ذكرى الغافل وتنبيه الجاهل (وكانت له قدم راسخة في الشعر، جمع شعره في ديوانه (نزهة الخاطر) ونشر زكريا عبد الرحمن صيام (ديوان الأمير عبد القادر الجزائري) سنة ١٩٧٨. توفي بدمشق، ودفن بالصالحيّة، ونقل رفاته إلى الجزائر بعد الاستقلال.

تستنشقنّ نسيماً طاب منتشقاً ... يزيد في الروح لم يمرر على قذر
أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه ... علوت في مرقبٍ أو جلت بالنظر
رأيت في كلّ وجهٍ من بسائطها ... سرباً من الوحش يرعى أطيب الشجر
فيا لها وقفة لم تبق من حزن ... في قلب مضنى ولا كدّا لذي ضجر
نباكرُ الصيد أحيانا فنبغته ... فالصيد منّا مدى الأوقات في ذعر
فكم ظلمنا ظليما في نعامته ... وإن يكن طائراً في الجو كالصقر
يوم الرحيل إذا شدّت هوادجنا ... شقائق عمّها مزنٌ من المطر
فيها العذارى وفيها قد جعلن كوىً ... مرقعاتٍ بأحداقٍ من الحور
تمشي الحداة لها من خلفها زجلٌ ... أشهى من الناي والسنطير والوتر
ونحن فوقَ جياد الخيل نركضها ... شليلها زينة الأكفال والخصر
نطارد الوحش والغزلان نلحقها ... على البعاد وما تنجو من الضمر
نروح للحيّ ليلا بعدما نزلو ... منازلاً ما بها لطخٌ من الوضر
ترابها المسك بل أنقى وجاد بها ... صوب الغمائم بالآصال والبكر
نلقى الخيام وقد صفّت بها فغدت ... مثل السماء زهت بالأنجم الزهر
قال الألى قد مضوا قولا يصدّقه ... نقلٌ وعقلٌ وما للحق من غير
الحسن يظهر في بيتين رونقه ... بيتٌ من الشعر أو بيتٌ من الشعَر
أنعامنا إن أتت عند العشيّ تخل ... أصواتها كدويّ الرعد بالسحر
سفائن البرّ بل أنجى لراكبها ... سفائن البحر كم فيها من الخطر
لنا المهارى وما للريم سرعتها ... بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
فخيلنا دائما للحرب مسرجةٌ ... من استغاث بنا بشّره بالظفر
نحن الملوك فلا تعدل بنا أحداً ... وأيّ عيشٍ لمن قد بات في خفر
لا نحمل الضيم ممن جار نتركه ... وأرضه وجميع العزّ في السفر
وإن أساء علينا الجار عشرته ... نبين عنه بلا ضرٍّ ولا ضررَ
نبيت نار القرى تبدو لطارقتنا ... فيها المداواة من جوع ومن خصر
عدوّنا ما له ملجا ولا وزرٌ ... وعندنا عاديات السبق والظفر
شرابها من حليبٍ ما يخالطه ... ماء وليس حليب النوق كالبقر
أموال أعدائنا في كلّ آونة ... نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البداوة من عيب تذمّ به ... إلّا المروءة والإحسان بالبدر
وصحّة الجسم فيها غير خافيةٍ ... والعيب والداء مقصورٌ على الحضَر
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى ... فنحن أطول خلق اللّه في العمر

يبدأ الأمير قصيدته للذي يعذل من يحب البداوة ويعذر من يحب الحضر فيخاطبه أن هذا خطأ فالبداوة خير من الحضارة في أمور أولها أن بيوت البدو أخف حملا وأقل كلفة وأيسر مؤنة ثم يبدأ في ذكر محاسن البدو فهو يصبح علي بساط الرمل الذي يشبه الدر ويري المناظر الرائقة الـشيقة العطرة ويستنشق النسيم العليل الذي يغذي الروح... ثم يعدد المناظر الرائعة الخلابة كحمر الوحش والغزلان التي ترعي أصيب الأشجار هذه المناظر تجلو الحزن من الصدور وتمنع الملـل والـضجر من النفوس الضجرة ثم يبين الحديث عن الصيد وأنواعه ويصف ما يفعلونه في رحـلات صـيدهم وجولات طردهم وهذه الرحلات خصيصة للصحارى والبداوة ولن تستطيع أن تنفذها في الحـضر... ثم يظهر أن من مزايا البدو أنك تستطيع الهجرة من جار السوء وتركه بسهولة ولذا فأنـت تختـار من يناسبك خلقا وشيما وطباعا ثم يوضح في في البدو من خلال خير حيث يقسمون بينهم خيـرهم وينهي قصيدته بأعظم ميزات البدو فهي منبع البر والإحسان وموطن المروءة والصحة الموفـورة لكل أبنائها لأن الحضر قرين الأمراض ومنشأ العلل والأمير عبد القادر قصد إلي مدح البدو وإظهار مزاياه قصدا والمادح لا حرج عليه إذا جاء بما يراه معضدا من قصده وربما تزيّد بما لا يعتقده لكن المتنبي جاء حديثه عن البداوة أو الحضارة عرضا أثناء حديثه عن غرض آخر فكان حديثا صـادقا غير مبالغ فيه مطبوعا غير متصنع سهلا غير متكلف لذا أبان عن قيمة البداوة عنده بما تحمل من هدوء النفس وصفاء الذهن وراحة البال وهي البيئة المثالية للمبدعين سيما الـشعراء فرؤيتهمـا تختلف كاختلاف فعلهما فهذا مادح متزيد والمتنبي واصف معتقد.

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة عند المتنبي ورؤيته لها:

الحضارة عند المتنبي هي الزينة المجتلبة والجمال المصطنع فهي أسـلوب مـريح للمعـاش وطريقة ميسرة للحياة[1] يقول:

حُسْـــنَ الحِضـــارةِ مَجـــلُوبٌ بِتَطْرِيـــة **.....

فحسنها مجتلب وجمالها مصطنع يقول شارح ديوانه الواحدي في شرح ذلك الشطر: الحضارة الكون في الحضر والبداوة الكون في البدو وأراد حسن أهل الحضارة فحذف المضاف يقول حسنهم متكلف مجلوب بالاحتيال" فحسن الحضارة متغير غير ثابت يقول أحمد سعيد البغدادي في شرح هذا البيت: الحضارة: سكنى المدن. والبداوة: سكنى البادية. يريد أن محاسن الطبيعة أشهى للنفس من التجمل لأن تلك مستمرة وهذه سرعان ما تتغير[2].

فالحضارة أسلوب معاش وطريقة حياة وليست هذه بمزية أو ميزة عند ذوي الطباع العربيـة بل ربما هي نقيصة وليس المتنبي بدعا في هذا بل سبقه كعب بن سعد الغنوي[3] الذي رأي البداوة خيرا من الحضارة في نواح كثيرة، أهمها ملاءمة هوائها للصحة، وقلة الأوبئة التـي تنتـشر فـي الحضارة ، وقد نبه إلى ذلك حين مرض أخوه:

---

(١) فقد عرفها مالك بن نبي بأنها كل ما يوفره المجتمع لأبنائه من وسائل تثقيفية وضمانات أمنية، وحقوق ضرورية، تمثل جميعها أشكالاً مختلفة للمساعدة التي يريد، ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه.

(٢) ينظر: أمثال المتنبي، لأحمد بن سعيد البغدادي.

(٣) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي، من بني غني من قيس بن عيلان. شاعر مخضرم مجيد من أهل الطبقة الثانية وشعره يحتج به عند أهل اللغة وكان له أخ يدعى أبا المغوار قتل في حرب ذي قار، رثاه فصارت من لمراثي المعدودة عند العرب واشتهر بها وقد قال عنه الأصمعي بين أصحاب المراثي: ليس في الدنيا مثله. وكان يكثر من اقتباس الأمثال في شعره، فعرف بكعب الأمثال. وكان منزله في موضع يسمى رملة إنسان في شرقي الرجام (وهو جبل نزل بسفحه جيش أبي بكر في زحفه من المدينة إلى عُمان لحرب أهل الردة) وقال عنه أبو هلال العسكري: "ليس للعرب مرتبة أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرثى فيها أخاه "أبا المغوار"، توفي كعب ــ على أرجح الأقوال ــ عام ٦٣٠ م.

وحـــدثتماني أنمـــا المـــوت بـــالقرى وكيـــف وهاتـــا هـــضبة وقليـــب؟[١]

قال البكري: "إنه قد قيل له اخرج بأخيك مـن الأمـصار فيـصح "أي مـن المـدن والقـرى (الحضارة)، لأنهم كانوا يعتقدون أنها غير صحية، وإنها لكذلك.

فالعرب القدامى – وظل متوارثا في أذهان كثيرة – كانوا يؤثرون البداوة علي الحضارة رغم المشقة وشظف العيش التي قد يتخيلها أهل الحضارة عن أهل البداوة، لكنها كانـت تكـسبهم قـوة روحية وقوة عقلية وقوة بدنية؛ لذلك كانوا ذوي بأس شديد، ما حوربوا أو حاربوا إلا كان النـصر حليفهم، فهذا هو القطامي التغلبي[٢] يفاخر ببداوته، ويهزأ بالحضارة وأهلها، حيث قوله:

فمـــن تكـــن الحـــضارة أعجبتـــه فـــأي رجـــال باديـــة ترانـــا[٣]

ومـــن ربـــط الجحـــاش فـــإن فينـــا قنـــا ســـلبا وأفراســـا حـــسانا

المطلب الثالث: ثنائية البداوة والحضارة في شعر المتنبي :

أولا: نقرر أن المتنبي لم يتناول – كما ذكرنا– البداوة والحضارة كغرضـين شـعريين مقـصودين لذاتهما، أو كموضوعين مستقلين ، بل تناولهما عرضا في شعره والباحث هو الذي استخلص هـذا العنوان من خلال معرفته برقي فكر المتنبي وعمقه ونفسيته والتي تحدثنا عنها وكـان لابـد مـن الحديث عنها لندلل علي أن الفكرة الصغيرة عندما تصدر عن شخص له فلسفة وعمق فإنها تحمـل من المعاني والعمق بقدر عمق من أتي بها.

ثانيا: البداوة والحضارة عنده ليستا متضادتين في مفهموها علي الإطلاق، إنمـا متمايزتـان فـي جوانب ، فكل منهما تمتاز بجانب؛ فإن البداوة –عنده – تتميز في راحـة الـنفس وهـدوء العقـل وانطلاق الروح ، والحضارة تتميز بالرفاهة وراحة البدن ولذة العيش.

فكل منهما تفضل الأخري في جانب.

وقد جاء ذكرهما عنده في مواضع أهمها:

– ما قرر فيه أن العبرة في السكني والأفضل في الإقامة ما ارتاح فيه المرء نفسيا.

فأسعد مكان للرجل لا يرتبط ببداوة ولا حضارة ؛ إنما يرتبط بموافقة هذا المكان لنفسه ، وقربه من قلبه ،وراحة روحه فيه ، وهذا له أسباب كثيرة إما لمولد أو لنشأة أو لأحـداث حـدثت ،أو لأهـل وجيران وسكان يقول[٤]:

وَما بَلَدُ الإِنسانِ غَيرُ المُوافِقِ وَلا أَهلُهُ الأَدنَونَ غَيرُ الأَصادِقِ

وجائِزَةٌ دَعوى المَحَبَّةِ وَالهَوى وَإِن كانَ لا يَخفى كَلامُ المُنافِقِ

---

(١) ينظر : كتاب شعراء النصرانية قبل الإسلام ، الأب لويس شيخو اليسوعي،نشر: مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت (١٨٩٠ م)،و: توجيه النظر إلى أصول الأثر ، طاهر الجزائري الدمشقي ، تح: عبد الفتاح أبو غدة، نشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ،الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

(٢) هو: عُمير بن شُيِيم بن عمرو بن عبّاد، من بني جُشَم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامى. شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. وجعله ابن سلّام في الطبقة الثانية من الإسلاميين، وقال: الأخطل أبعد منه ذكراً وأمتن شعرا. وأورد العباسي (في معاهد التنصيص) طائفة حسنة من أخباره يفهم منها أنه كان صغيراً في أيام شهرة الأخطل، وأن الأخطل حسده على أبيات من شعره. ونقل أن القطامي أول من لُقب (صريع الغواني) بقوله :

صريع غوان راقهنّ ورقنه** لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب

ينظر:ديوان القطامي ،ط.دار صادر، خزانة الأدب ، شرح الأشموني على ألفية بن مالك المسمى" منهج المسالك إلى ألفية بن مالك"باب الإضافة ،

من شعره البيت المشهور: (قد يدرك المتأني بعض حاجته** وقد يكون مع المستعجل الزلل). له (ديوان شعر). والقطامي بضم القاف وفتحها. قال الزبيدي: الفتح لقيس، وسائر العرب يضمون، توفي عام ١٣٠ هـ.

(٣) ديوانه :٥٢ ، تح: د.محمود الربيعي ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة).

[٤] الديوان ص:٢٢٣

فالبلد عنده هو ما وافق النفس مهما كان يقول المعري شارحا البيت : ليس بلـد الإنـسان إلا مـا يوافقه، فلا تلتفت إلى وطنك إذا لم يوافقك، وحسنت في غيره حالك، وليس أهل الإنـسان وأقاربـه الأدنون إلا كل من يصادقه في المودة، فكل إنسان يصادقك فهو قريبك.

وإن ادعي إنسان ما أن مكان الميلاد أو النشأة أو الرزق هو الموافق إن لم يصادق ذلك دلالة حـال كدلالة المقال فسوف تعرف ذلك جيدا منه.

– والمكان الذي يطيب للعيش ،هو المكان الذي يجد الإنسان فيه كرامته ،ويشعره بعزته ،,لا يستذل فيه ولا يهان ، ولا ينتقص منه، ولا تضيع حقوقه فيه ؛فهذا هو المكان الطيب دون النظـر لكونـه بادية أو حاضرة يقول[١]:

.... وَكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طيّبُ

وهذا المعني يتناسب مع نفسية المتنبي العالية ،واعتداده بنفسه ، وحبه لذاته ، وشـعوره (بالأنـا العليا)

– والموضع الآخر يؤكد فيه أن الديار– وبالتالي مقرها من بداوة أو حضارة – تكتـسب الفـضل واليمن والبركة من ساكنيها ،وهنا يؤكد علي قيمة الساكن لا المسكون، وقيمـة الإنـسان لا قيمـة المكان كما أن الإنسان يكتسب القيمة بحسن الفعال لا بمجرد إنسانيته يقول:[٢]

أحَقُّ دارٍ بأنْ تُدْعَى مُبَارَكَةً دارٌ مُبارَكَةُ المَلْكِ الذي فِيهَا

وَأَجْدَرُ الدُّور أنْ تُسْقَى بسَاكِنِها دارٌ غَدا النّاسُ يَستَسقُونَ أهليهَا

فبركة الدار ويمنها وخيرها تأتي من بركة من يعيش فيها ويسكنها ومع إتساع الدائرة تعرف قيمـة المكان من قيمة الذين يسكنونة وفضله من فضلهم

– لذا يظهر عنده أحيانا تفضيل الحضارة من باب كثرة الخير فيها ، وبحبوحـة العـيش ويـسره يقول[٣]:

خير الطيور على القصور وشرها يأوي الخراب ويسكن النااووسا

فالطيور التي تأوي إلي القصور –وهي من لوازم الحضارة– خير من الطيـور التـي تـأوي إلـى الخرابات ونواويس المجوس – وهي من لوازم الصحراوات والبوادي – وهنا يشتم منـه تفـضيله للحضارة علي البداوة من حيث كثرة الخير وسهولة الرزق.

– كما أن البداوة عند المتنبي تحمل من المعاني ما تحمله عند غيره من الشعراء وتعني عنده ما تعنيه عند غيره من أنها مفازة لا ماء فيها ولا نبات يقول[٤]:

ولقد أمنت المفاوز خيلي قبل أن نلتقي وزادي ومائي

وإن كان الحديث في معرض فخره وأن هذه الحاله لا تخيفه ولا تخيف خيله.

– وهي عنده المفازة التي لا ماء فيها ولا نبات وفوق ذلك هي بعيدة يقول[٥]:

يُكَلِّفُني التَّهْجيرَ في كلّ مَهْمَهٍ عَليقي مَرَاعِيهِ وَزَادِيَ رُبْدُهُ[٦]

– ثم جاء معني الحواضر عنده بمعني مظهرها وهو المباني الفخمة والقصور وذلك في قوله[٧]:

لا بما تبتني الحواضر في الريـ ـف وما يطبي قلوب النساء

ثم في بقية المواضع ظهر عنده معني البادية أو الحاضرة بمعني من يسكن فيهما من الناس وذلك في قوله[٨] :

زعيم للقنا الخطي عزمي بسفك دم الحواضر والبوادي

---

(١) الديوان ص: ١١١ وهذا عجز بيت صدره: وكلُّ امرىءٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ

(٢) الديوان ص: ٤١٣

(٣) الديوان ص:١٩٠

(٤) الديوان ص : ٢٧

(٥) الديوان ص: ١٢٩

(٦) التهجير: المسير في الهاجرة، والمهمة: القفر، والعليق: قضيم الدابة، والربد: النعام.

(٧) الديوان ص : ٢٧

(٨) الديوان ص : ١٢٥

وقوله[١] :

وأخذ للحواضر والبوادي بضبطٍ لم تعوده نزار

وقوله[٢] :

حتى إذا عُقِدَتْ فيه القِبابُ لَهُ أهَلّ لله بادِيهِ وحاضِرُهُ

وبهذا يستبين لنا أن الحضارة عند المتنبي تنماز في المادية كما أن البداوة تنماز في المعنوية فلكل منهما فضل وجهة والمتنبي بطبعه ونوعية شخصية فالبداوة عنده تزيد في الفضل وتميل إليها نفسه وتحبها لقربها من روحة وإذكائها لموهبته ومساعدتها لإبداعه.

المبحث الثالث : المتنبي في الميزان النقدي :

لمعرفة قيمة الشئ سيما العمل الأدبي لابد من وضعه في دائرة النقد والتي تعني معرفة الجيد من الرديء، فالجيد لنحافظ عليه ونسير في طريقه بل ونرتقي لنكون وليكون أكثر جودة، الردئ حتى نعرف وجوه الرداءة فيه فنتلافاها أو نحسنها أو نعرف درجتنا علي الأقل فلا تستخفننا النفس وتسير بنا إلي حيث (من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ولكل فن ضوابطه وقواعده حتى ترتفع عن العشوائية ويتم تصنيف رجاله والأدب والنقد فن أو علم لهم ضوابط وقواعد لابد أن يسير عليها الأدباء والنقاد ومن هذا كان لابد من تقييم أي عمل لتقويمه وهكذا نفعل فيما يلي:

المطلب الأول: خصائص شعر المتنبي وبناء القصيدة عنده.

تعد بلاغة الكلام مكونا أساسيا في بنية الشعر العربي القديم،بل إن بن خلدون قد عدَّ هذا المكون أقرب عنصر إلى حقيقة الشعر من المكونين الشكليين المتمثلين في المكون الإيقاعي والمكون الغرضي. وفي ذلك يقول ابن خلدون: "وقول العروضيين في حدة إنه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له. وصناعتهم إنما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة. فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عندنا، فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية، فنقول: الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به[٣]".فالنّص الأدبي عالمٌ حيٌّ كالكائن الحيّ ، وهو ذو ولادة طبيعية وحركة داخلية وإيديولوجية نصيّة واستقلال وهوية وتاريخ، فالأيديولوجيا النصية غير أيدلوجيا الواقع الذي ولد النَّص فيه، وإلاَّ فإنَّ النّص لا يزيد على كونه تصويراً فوتوغرافياً لما هو مرئي ومعروف، والأدب بعامة، والشعر بخاصة غير ذلك تماماً...

أما المتنبي أشهر شعراء العربية، بل هو شيخ شعرائها "فليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبى الطيب من مجالس الأنس، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء فى المحافل، ولا لحون المغنيين والقوالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين وقد ألفت الكتب فى تفسيره، وحل مشكلة عويصة، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه، وتكلم الأفاضل فى الوساطة بينه وبين خصوه والإيضاح عن أبكار كلامه وعونه وتفرقوا فرقا فى مدحه والقدح فيه والنضج عنه، والتعصب له وعليه، وذلك أول دليل على وفرة فضله وتقدم قدمه، وتفرده عن أهل زمنه[٤].

---

(١) الديوان ص : ١٥٨

(٢) الديوان ص : ١٦٤

(٣) المقدّمة، ص ١١٠٤.

(٤) يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبي: ٧٦/١، ط مطبعة الحسين مصر ١٩١٦م ، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (مطبوع بهامش شرح العكبري)، يوسف البديعي الدمشقي (ت ١٠٧٣هـ) الناشر: المطبعة العامرة الشرفية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٨هـ، أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة الحسين التجارية- القاهرة.

فقد امتلك ناصية اللغة وتمكن من قواعدها ومفرداتها وتربع على عرش البيان فكان صاحب الأمثال السائرة، والحكم النادرة، وكان ظاهرة فريدة في عصره فلم يجنح إلى التكلف السائد فـــى عـــصره، وإنما جعل جل اهتمامه بالمعاني، وقد ساعده التمكن من اللغة، بجانب موهبته الفذة على الاختراع، والابتكار للمعاني الجديدة التي لم يسبق إليها، وفى هذا يقول ابن جني "فأمـــا اختراعـــه للمعـــاني، وتغلغله فيها، واستيفاؤه لها مما لا يدفعه ضد، و لا يستحسن معاندته إلا ند[١].

وشعر المتنبي صورة دقيقة، وواضحة لذاته، وصفاته وطموحاته، "وإن أهم ما يميز المتنبي بروز شخصيته فى شعره، وصدق إيمانه برأيه، وقوة اعتزازه بنفسه، وصحة تعبيره عـــن طبـــائع النفس[٢]. وقد مر شعر المتنبي بمرحلتين: الأولى: مرحلة الصبا، وفيها يظهر التمـــرد والعـــصيان، والتظاهر بالقوة، والاعتداد- الزائد عن الحد فى كثير من الأحيان- بالنفس، وعدم التقيد بالضوابط الشرعية فى إطلاق الألفاظ والعبارات، مما جعله عرضة للاتهام فى العقيدة، وفـــى هـــذه المرحلـــة تتردد أسماء الأنبياء فى شعره، ومن ذلك قوله[٣]:

مـــــا مقـــــامي بـــــأرض نخلـــــة إلا كمقـــــام المـــــسيح بـــــين اليهـــــود

وقوله[٤]:

أنـــــا فـــــى أمـــــة تـــــداركها اللـــــــ ـــــــه غريـــب كـــصالح فـــى ثمـــود

وفى خصائص شعره فى هذه المرحلة يقول الأستاذ محمود شاكر: "كان شعر أبى الطيب فـــى أول أمره قد اختلط بألفاظ لا تستقر فى الشعر، وقعت إليه مـــن ألفـــاظ المتكلمـــين، والمتفلـــسفة، وأصحاب المنطق، وأهل الجدل فى الملل والنحل، وغير ذلك، وكان أسلوبه يجـــرى علـــى طريقـــة هؤلاء فى التوجيه والتقسيم، ثم فى توليد المعاني الشعرية على طريقة أهل العصر فى توليد معاني الجدل والحجاج[٥] ولذلك تجد المتنبي فى هذه المرحلة الأولى التي نظم شعره فيهـــا فـــى منـــاطق متفرقة من الشام والعراق وفلسطين يكثر من التعقيد اللفظي والمعنوي، ويتكلف أحيانـــا اســـتعمال الغريب؛ للدلالة على غزارة شعره[٦].

أما المرحلة الثانية فى شعره، فهي مرحلة النضج والكمال الشعري، وقد بدأت هذه المرحلـــة مع عودته إلى الكوفة سنة ٣٢٣هـــ، وفى هذه المرحلة يخرج شعر المتنبي من نفس مجربة، ومن أحاسيس صادقة، ومن طبيعة تتفاعل مع واقع أمتها العربية وفى هذا يقول الأستاذ محمـــود شـــاكر "لما عاد إلى الكوفة ٣٢٢هـــ، وهى مقر كثير من أئمة العلم والأدب والشعر، ولزم مجالسهم سنتين أو أشف قليلا، عملت هذه المجالس فى تهذيب علمه الذي وقع عليه فى الصغر، وعملـــت طبيعتـــه الشعرية فى هذه العلوم عملها، وكان له من الفراغ ما يكفيه للتفكير والاتساع فى النظر، وللترجيح والتعديل بين علمه وطبيعته، ثم كان له من توقد ذهنه واشتعال قـــوى نفـــسه الملتهبـــة بأحقادهـــا وآلامها ما يحمله على استخراج روائع المعاني التي توافق همه وألمه وعلى توليد الآيات البيانيـــة

(١) الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي لأبى الفتح عثمان بن جني ت د/ رضا رجب ٤/١، ٥ ط. دار الينابيع- دمشق ط أولى ٢٠٠٤ م.
(٢) مقدمة تحقيق معجز أحمد لأبى العلاء المعرى ت د/ عبد المجيد عبد الجيد دياب ص٩٦ ط ٢ دار المعارف ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
(٣) الديوان:٢٠.
(٤) الديوان:١٢.
(٥) المتنبي رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا، ص٢٤٥.
(٦) ينظر: مقدمه تحقيق معجز أحمد، ص٩٧.

التي تتصل بما فى قلبه وفكره، وعلى اختيار العبارة التي تكون فى إيجازها بمنزلة الرمز الذي يدور فى نفسه من المعاني المطولة[١] فالفارق– إذا واضح بين شعر المتنبي فى هذه المرحلة وشعره فى المرحلة الأولى فقد كان شعره فى هذه المرحلة الثانية مختارا كله بريئا من السخف واللغو أو كاد والمدقق فى كافورياته يرى من جلال المعنى وجمال اللفظ والصياغة ما يشهد أنه بلغ كمال النضج[٢].

وقد تناول المتنبي فى شعره معظم الأغراض الشعرية من مدح ورثاء وغزل وفخر وعتاب وهجاء ووصف إلا أن أكثر الأغراض الشعرية فى ديوانه هو المدح، وقد أجاد المتنبي في هذا الغرض وأبدع. وكثرة غرض المدح في شعر المتنبي فرضته الفترة الزمنية التي كان يعيش فيها، فقد ظهر فى هذا العصر ما يسمى ببلاط السلطان حيث كان الشعراء يلتفون حول الملك أو الأمير يمدحونه، ويغدق عليهم الأموال، حتى أصبح المدح فى هذا العصر وسيلة كسب ولقمة عيش يعيش عليها الشاعر، والمتنبي له مدائح كثيرة ولعل أصدقها وأكثرها وأبدعها التي كانت فى سيف الدولة؛ لأن هذه المدائح خرجت من تجربة صادقة فقد أحب المتنبي هذا الرجل، وأخلص له لما رأى فيه من صفات البطل العربى المفقود، الذي كان يبحث عنه فى هذا الزمن الذي ضاعت فيه عزة العروبة وقوتها وكرامته.

وأما الحديث عن المكون الإيقاعي (الموسيقي الشعرية) والمكون الغرضي (المعاني) فيمكن أن نقول: إن المتنبي كان مجددا ومبتكرا وصاحب طريقة جديدة فهو ظاهرة من ظواهر التجديد فى الشعر العربي، فقد كان "محطما لتقاليد الشعر العربي كاسرا لأطواقه، خارجا على المألوف منها[٣]. فهو بحق كما يقول الأستاذ محمد مندور "إمام الطريقة الابتداعية فى الشعر العربى[٤].

وقد صاغ أبو الطيب شعره صياغة فنيه تتجلي فيها روح القوة والحياة وقوة التعبير سمه من سماته نجدها في ألفاظه وأساليبه كما نجدها في معانيه. وقد أفاضت روح القوة في نفس الشاعر علي شعره وفنه هذه السمة الواضحة ،وكذلك حرية التعبير من أهم خصائص المتنبي الفنية، فقد كان مع إحاطته التامة باللغ وأساليبها يطلق نفسه وفنه من كل قيد لا يتلائم مع شعوره وإلهامه الشعري وذوقه الفني الحساس ويختار من الصيغ اللفظية أو البيانية ما يلائم شعوره ويعبر عن عواطفه ويطرد مع روحه وشخصيته وأمانيه يرسل القصيد إرسالا لا يبالي بنقد النقاد"[٥]. لذا رأينا تراثه الشعري الذي خلفه من بعده يعد من أعظم وأجود وأجمل ما أنتجه الشعراء على مر العصور، ولعل ما يزخر به شعره من حكم مصوغة بصياغة محكمة وبلاغة مدهشة وإبداع قل نظيره هو السر في هذا الخلود.

(١) المتنبي (رسالة فى الطريق إلى الطريق، ص٢٤٦،٢٤٥.
(٢) ينظر مقدمة المتنبي تحقيق معجز، ص٩٧.
(٣) أبو الطيب المتنبي فى مصر والشام، ص٥.
(٤) ينظر النقد المنهجي، محمد مندور ص، ٦٢، ط دار نهضة مصر ١٩٩٦م.
(٥) ديوان شيخ شعراء العربية المتنبي، ص١٥، تح: د. عبد المنعم خفاجي، سعيد جودة السحار، د. عبد العزيز شرف، ط مكتبة مصر .

المطلب الثاني: رافد الصور الشعرية عند المتنبي.

نقرر أولا أن لكل صورة فلسفة خاصة بها، علماً أن مفهوم الفلسفة بقسميه النظري والعملي قديم، وهو متعلّق بالمعارف والفنون والعلوم والحقائق... ولذا عرف ابن سينا الفلسفة بقوله: "إنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه"(١). ولهذا تصبح الكلمة في الأدب مادة للصورة (الهيئة) باعتبارها الحامل الحقيقي لعالم الوجدان والعقل، ومن ثم تأخذ الصورة الشعرية طبيعتها ووظائفها وأهدافها... " ولا يمكن للشاعر المبدع أن يستخدم في شعره اللغة كما يستخدمها الناس في حياتهم المعاشية العادية، فالمفروض في لغة الشعر أن تكون ذات طاقة تعبيرية مصفاة ومكثفة(٢)" ونحن إذ نتحدث عن شيخ شعراء العربية المتنبي كان لزاماً علينا أن نشير إلى أنماط القوة وفلسفتها في شعره أسلوباً وتخييلاً وأفكاراً، على اعتبار أن الأسلوب هو الإنسان وهو الذي يرسم خصال المرء وسجاياه(٣)، وأن التخيّل أو التخييل قوة مصورة تريك صورة الأشياء الغائبة حتى يُخَيَّل إلينا أنها حاضرة وتسمى القوة المصوِّرة(٤)، وأن الأفكار تجيء وفق أحوال النفس والأحداث والثقافة التي تحيط بها سواء كانت وفق مبدأ تداعي الأفكار، أم مبدأ الاقتران والاقتراض والخبرات؛ ممّا يؤدي إلى حصول معنى ما في الذهن يصاغ بلغة حقيقية أو رمزية أو مجازية أو إشارية لتدل على فكرة صاحبها ومشاعره(٥)، فالمعنى "هو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها اللفظ"(٦).

وتتميز صوره: أولا: بالقوة الذاتية؛ لشعوره بقوة ذاته والتي تملأ نفسه وشعره فمثلا قوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم

أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخَلْق جَرّاها ويختصم

فالحديث عن الذات والفخر بالنفس برز خمس مرات في البيتين، ومثالا أخر لمثال آخر من مدحه لسيف الدولة، إذ يقول:

وما أنا إلا سَمْهريٌّ حَمَلْتَه ... فزيّن معروضاً وراعَ مُسَدَّدا

أجِزْني إذا أنشدت شعراً فإنما ... بشعري أتاك المادحون مُرَدَّدا

ودع كل صوتٍ غير صوتي فإنني ... أنا الصائح المحكيُّ والآخر الصدى

تركت السُّرى خلفي لمن قلَّ ماله ... وأنْعَلْتُ أفراسي بنعماك عسجدا

هنا تشعر أنك تقف أمام مفتخر يمدح نفسه ووصل به الشعور بذاته أنه يسطو علي مجهود الآخرين فكل مادح غيره إنما يمدح بقوله وهو صدي له لم يصل لدرجة مقلد.

ثانيا: قوة خياله. فالمتنبي يتميز بقوة تصويرية جبارة بل وخارقة فقوّة التخييل عنده كانت تتوزع في دوائر إبداعية شتى داخلية وخارجية ولم تكن مجرّد ردّ فعل لظروف خارجية تحيط به،

---

(١) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا،١٦٠/٢، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ودار الكتاب المصري- القاهرة ــ ١٩٧٩م.

(٢) قضايا الشعر المعاصر، د. عز الدين إسماعيل، ١٧٨ ،١٧٩، دار الدعوة والثقافة (بيروت) ط١٩٨١/٣م.

(٣) المعجم الفلسفي، ٨٠/١-٨١.

(٤) المعجم الفلسفي، ٢٦١/١.

(٥) ينظر: المعجم الفلسفي، ٢٦٣/١ و٣٩٨/٢.

(٦) المعجم الفلسفي، ٣٩٨/٢.

أو مجرد تأثّر ذاتي.. تساعدها تملك لناصية اللغة وتمكن من أدوات البيان أما التخيل فهو فوق التوقع ففي الحديث عن الحمى التي أصابته يبغت الجميع إذ يقول:

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها فتوسِعُه بأنواع السَّقام
إذا ما فارقتْني غسَّلتني كأنا عاكفان على حَرام
كأنَّ الصبح يطردها فتجري مدامعها بأربعة سِجام
أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام

فأي خيال يمكن أن يصور الحمي بهذا التصوير؟!!!

الخاتمة وأهم النتائج

– درس باب جديد وهو– الحضارة والبداوة – عند المتنبي من خلال شعره.

– إلغاء قاعدة أن الحضارة قرينة الرقي والراحة والطمأنينة والاستقرار، وأن البداوة قرينة التخلف والجمود والتعب والخوف والتنقل وعدم الاستقرار.

– فهم تصور العصر العباسي عن البداوة والحضارة من خلال كلام شاعر من أكابر الشعراء في العربية وهو يمثل صورة لعصره، وانعكاس لتصور الناس أو كثير من الناس في هذا العصر.

– إثبات أن المتنبي تحدث عن هذين المصطلحين، وحديثه يختلف عن غيره من الناس بل من الشعراء لأنه يفوقهم.

– معرفة ما يعنيه هذان المصطلحان البداوة والحضارة.

– حل إشكالية البداوة والحضارة وأنهما ليس نقيضين لا يعني احدهما الرقي والأخر التخلف.